أي مسلمات

١١

أم سلمة

الجزء الأول

بنت زاد الركب

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى

لَمْ تَكُنِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ امْرَأَةً عَادِيَّةً فِى حَيَاةِ النَّبِىِّ ﷺ وَلاَ فِى حَيَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَدْ كَانَتْ تَتَمَتَّعُ بِرَجَاحَةِ الْعَقْلِ وَالذَّكَاءِ ، وَتَتَّصِفُ بِالْقُوَّةِ وَالشَّجَاعَةِ ، مِمَّا جَعَلَ لَهَا مَكَانَتَهَا الْمَرْمُوقَةَ فِى التَّارِيخِ الإِسْلاَمِىِّ ، كَمَا أَنَّهَا تَنْتَمِى لأُسْرَةٍ عَرِيقَةٍ ذَاتِ مَجْدٍ ، فَأَبُوهَا أَحَدُ سَادَاتِ (مَخْزُومٍ) وَكَانَ رَجُلاً كَرِيمًا جَوَادًا ، لَمْ يَخْرُجْ فِى رِحْلَةٍ مَعَ جَمَاعَةٍ ، إِلاَّ وَحَمَلَ مَعَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مَا يَكْفِى هَذِهِ الْجَمَاعَةَ ، حَتَّى يَعُودُوا مِنْ رِحْلَتِهِمْ ؛ وَلِذَلِكَ أَطْلَقَ عَلَيْهِ النَّاسُ « زَادَ الرَّكْبِ » .

وَمُنْذُ أَنْ بَزَغَ نُورُ الإِسْلاَمِ فِى قَلْبِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، أَسْلَمَتْ أُمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ بِنْتُ أَبِى أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ مَعَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ الْمَخْزُومِىِّ ابْنِ عَمَّةِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ .

وَعَاهَدَ الزَّوْجَانِ الرَّسُولَ ﷺ عَلَى التَّضْحِيَةِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَتَحَمُّلِ الأَذَى مَهْمَا اشْتَدَّتْ ضَرَاوَتُهُ ، وَصَدَقَا فِى هَذَا الْعَهْدِ ، فَقَدْ تَعَرَّضَا لِلتَّعْذِيبِ وَالاضْطِهَادِ مِنْ قَوْمِهِمَا ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ ظَلاَّ مُؤْمِنَيْنِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، لَمْ يُؤَثِّرْ فِيهِمَا

هَذَا التَّعْذِيبُ شَيْئًا ، بَلْ زَادَهُمْ صَلَابَةً وَثِقَةً فِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَهَاجَرَ الزَّوْجَانِ إِلَى الْحَبَشَةِ مَعَ بَعْضِ الْمُسْلِمِينَ ، فِرَارًا مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ وَبَطْشِهَا ، وَهُنَاكَ عَاشُوا فِي حِمَايَةِ النَّجَاشِي يَعْبُدُونَ اللَّهَ الْوَاحِدَ فِي سَكِينَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، وَبَقُوا هُنَاكَ فَتْرَةً غَيْرَ قَصِيرَةٍ .

وَانْتَشَرَتِ الأَخْبَارُ بَيْنَ هَؤُلاَءِ الْمُهَاجِرِينَ أَنَّ الإِسْلاَمَ أَصْبَحَ قَوِيًّا ، بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ بَطَلُ الْعَرَبِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَرَّرَ الْمُسْلِمُونَ الْعَوْدَةَ إِلَى دِيَارِهِمْ ، بَعْدَ أَنْ أَرْهَقَتْهُمُ الْغُرْبَةُ وَالْبُعْدُ عَنِ الأَحْبَابِ .

وَمَا إِنْ عَادَ هَؤُلاَءِ الْمُهَاجِرُونَ ، حَتَّى وَجَدُوا الأَمْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ ، إِنْ لَمْ يَكُنْ أَشَدَّ قَسْوَةً ، فَقَدِ ازْدَادَ تَعْذِيبُ الْمُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ لِكُلِّ مَنْ يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ .

وَتَحَمَّلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا أَشَدَّ أَنْوَاعِ الإِيذَاءِ مِنْ قَوْمِهِمَا فِي شَجَاعَةٍ وَصَبْرٍ .

وَلَمَّا رَأَى الرَّسُولُ ﷺ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ مِنَ الأَذَى وَالتَّعْذِيبِ ، أَمَرَهُمْ بِالْهِجْرَةِ مَرَّةً أُخْرَى ، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ كَانَتِ الْهِجْرَةُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ .

وَاسْتَبْشَرَ الزَّوْجَانِ بِذَلِكَ خَيْرًا وَقَالاَ فِي سَعَادَةٍ :

– لَقَدْ آنَ لِهَذَا الظَّلاَمِ أَنْ يَنْقَشِعَ أَمَامَ خُيُوطِ الْفَجْرِ .

وَجَهَّزَ الزَّوْجُ بَعِيرًا لَهُ ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ زَوْجَتَهُ وَابْنَهُ «سَلَمَةَ» ثُمَّ مَضَى فِي طَرِيقِهِ إِلَى يَثْرِبَ ، وَالأَمَلُ يَحْدُوهُ لِلِقَاءِ الأَحِبَّةِ وَالأَصْحَابِ .

وَعَلِمَ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ بِنِيَّةِ الزَّوْجَيْنِ عَلَى الْهِجْرَةِ ، فَلَحِقُوا بِهَا قَبْلَ أَنْ تُغَادِرَ مَكَّةَ ، فَأَوْقَفُوا الْبَعِيرَ الَّذِى يَحْمِلُهَا وَقَالُوا لِزَوْجِهَا :

- أَيْنَ تُرِيدُ يَا عَبْدَ اللَّهِ ؟

فَأَجَابَهُمْ قَائِلاً :

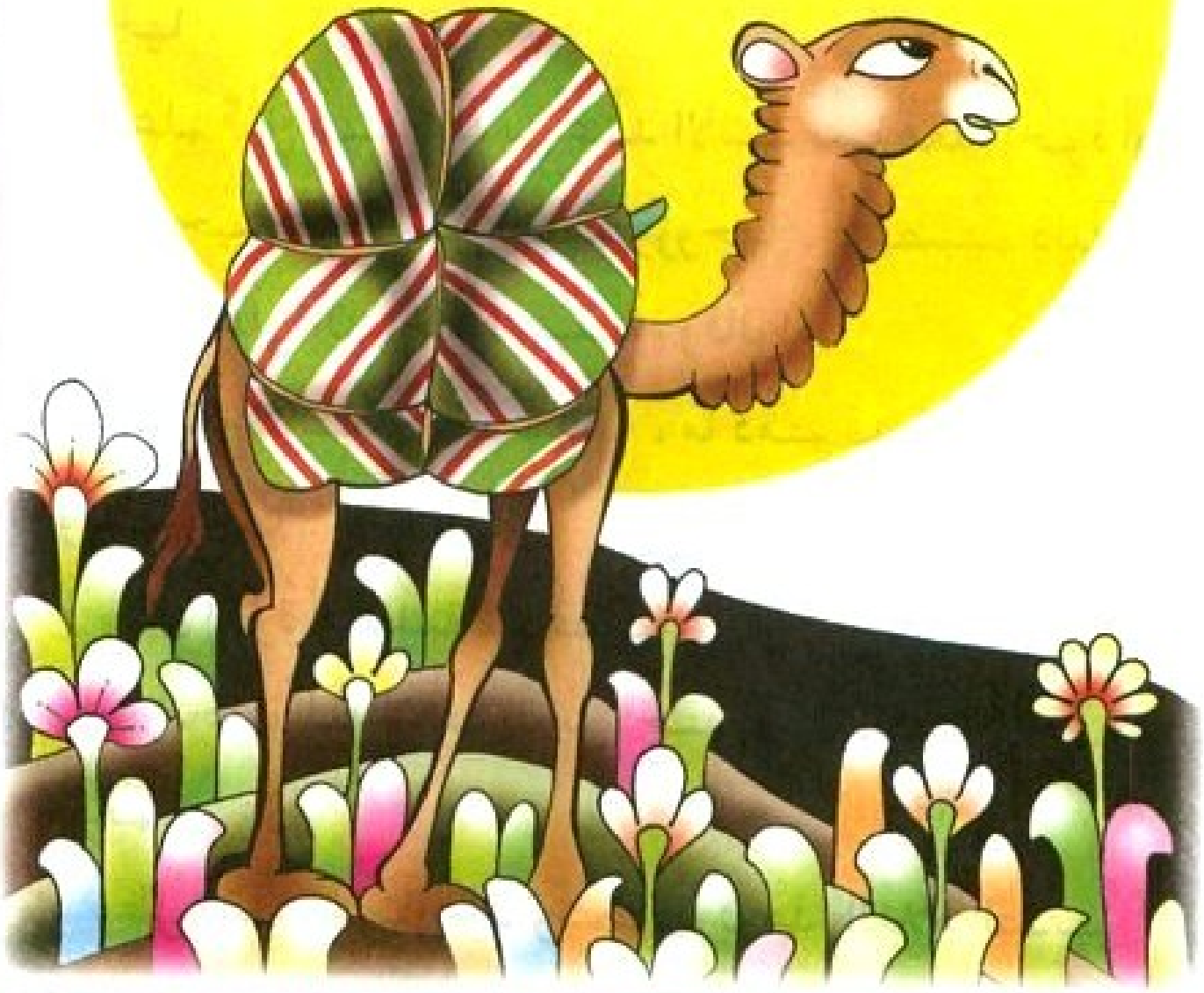

-أُرِيدُ يَثْرِبَ أَنَا وَزَوْجَتِي وَابْنِي .

فَقَالُوا :

- وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ صَاحِبَتَنَا تَرْحَلُ مَعَكَ ، فَإِمَّا أَنْ تَبْقَى بِدَارِكَ ، وَإِمَّا أَنْ تَرْحَلَ وَتَتْرُكَهَا وَشَأْنَهَا .

وَحَاوَلَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يُقْنِعَهُمْ بِشَتَّى السُّبُلِ أَنْ يَتْرُكُوهُ وَشَأْنَهُ لِكَيْ يُهَاجِرَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، لَكِنَّهُمْ رَفَضُوا كُلَّ تَوَسُّلاَتِهِ ، وَعَادُوا بِأُخْتِهِمْ رَغْمًا عَنْهَا وَعَنْ زَوْجِهَا .

وَعَلِمَ أَهْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ بِمَا فَعَلَهُ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ حَيْثُ فَرَّقُوا بَيْنَ أُخْتِهِمْ وَزَوْجِهَا ، فَأَغْضَبَهُمْ ذَلِكَ ، وَأَصَرُّوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا «سَلَمَةَ» وَقَالُوا :

- وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا ، مَا دُمْتُمْ قَدْ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا .

وَقَالَ إِخْوَةُ أُمِّ سَلَمَةَ فِي غَضَبٍ :

- وَنَحْنُ وَاللَّهِ لاَ نَتْرُكُ ابْنَ أُخْتِنَا لَكُمْ ، فَنَحْنُ أَحَقُّ بِهِ مِنْكُمْ .

وَظَلَّ الْقَوْمُ يَتَصَارَعُونَ وَيَتَجَاذَبُونَ هَذَا الْغُلاَمَ الصَّغِيرَ

حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ ، ثُمَّ أَخَذَهُ أَعْمَامُهُ عَنْوَةً ، بِرَغْمِ بُكَاءِ أُمِّهِ وَعَوِيلِهَا .

وَعَادَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَعَ إِخْوَتِهَا ، فَحَبَسُوهَا فِي الْبَيْتِ ، فَبَقِيَتْ سَنَةً تَبْكِي عَلَى مَا أَصَابَهَا ، بِفَقْدِ ابْنِهَا وَرَحِيلِ

زَوْجِهَا ، وَحَبْسِهَا فِي الْبَيْتِ بِمُفْرَدِهَا ، وَمَنْعِ أَخْبَارِ مُحَمَّدٍ ﷺ عَنْهَا .

وَمَضَى عَامٌ بِأَكْمَلِه ، وَأُمُّ سَلَمَةَ مَحْبُوسَةٌ فِي بَيْتِهَا ، بَعْدَ أَنْ فَرَّقَ إِخْوَتُهَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَ ابْنِهَا ، وَخِلَالَ هَذَا الْعَامِ سَاءَتْ أَحْوَالُهَا وَتَدَهْوَرَتْ صِحَّتُهَا ، وَلَمَّا رَآهَا ابْنُ عَمِّهَا عَلَى هَذَا الْوَضْعِ قَالَ لِإِخْوَتِهَا :

- أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ ؟ فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ ابْنِهَا .

فَقَالُوا :

- أَتُرِيدُ أَنْ نُخْرِجَهَا لِكَيْ تَلْحَقَ بِمُحَمَّدٍ وَهِيَ عَلَى دِينِهِ ؟

فَقَالَ :

- هِيَ وَشَأْنُهَا ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهَا أَعْقَلُ نِسَاءِ الْعَرَبِ ؛ فَلَنْ تَفْعَلَ مَا يَضُرُّهَا أَبَدًا .

وَمَا زَالَ يُجَادِلُهُمْ وَيُرَقِّقُ قُلُوبَهُمْ حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ وَقَامُوا إِلَى أُخْتِهِمْ وَقَالُوا لَهَا :

- الْحَقِي بِزَوْجِكِ إِنْ شِئْتِ .

وَفِى تِلْكَ الأَثْنَاءِ ، رَقَّ بَنُو عَبْدِ الأَسَدِ لِحَالِهَا ، فَأَعَادُوا إِلَيْهَا ابْنَهَا ، وَطَلَبُوا مِنْهَا أَنْ تَنْتَظِرَ بَعْضَ الْوَقْتِ حَتَّى يُهَيِّئُوا لَهَا رَجُلاً يَقُودُ لَهَا الْبَعِيرَ ، لَكِنَّهَا لَمْ تُطِقْ صَبْراً ،

بَلْ رَكِبَتْ بَعِيرَهَا ، وَوَضَعَتْ ابْنَهَا فِي حِجْرِهَا ، وَانْطَلَقَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَهِيَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَحْبِسَ دُمُوعَ الْفَرْحَةِ ، حَيْثُ سَتَلْتَقِي بِزَوْجِهَا الَّذِي أَحَبَّتْهُ ، وَسَتَلْتَقِي بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ وَاتَّبَعَتْهُ .

وَوَاصَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ السَّيْرَ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ مَكَّةَ ، وَهُنَاكَ بَلَغَ مِنْهَا التَّعَبُ وَالْجَهْدُ مَبْلَغًا عَظِيمًا ، وَمَا إِنْ رَآهَا عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ حَتَّى عَرَفَهَا فَسَأَلَهَا :

- أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ ؟

فَأَجَابَتْهُ :

- أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ .

فَقَالَ لَهَا :

- هَلْ مَعَكِ أَحَدٌ ؟

فَقَالَتْ :

- لاَ وَاللَّهِ ، إِلاَّ اللَّهُ وَابْنِي هَذَا .

وَكَانَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ مَعْرُوفًا بِالْمُرُوءَةِ وَالنَّخْوَةِ فَقَالَ لأُمِّ سَلَمَةَ :

- وَاللَّهِ ، لَيْسَ لِي مِنْ خِيَارٍ سِوَى أَنْ أُوَصِّلَكِ إِلَى

زَوْجك ، فَأَنَا لاَ آمَنُ عَلَيْك قُطَّاعَ الطَّرِيق .

وَانْطَلَقَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ بِبَعِيرِ أُمِّ سَلَمَةَ يَقُودُهُ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ، فَأَنْزَلَهَا وَقَالَ لَهَا :

– إِنَّ زَوْجَكِ فِي هَذَا الْمَكَانِ ، فَادْخُلِيهِ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

ثُمَّ انْصَرَفَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ عَائِدًا إِلَى مَكَّةَ ، فِي حِينِ دَخَلَتْ أُمُّ سَلَمَةَ الْمَدِينَةَ ، وَسَطَ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا ، فَقَدْ كَانَتْ أَوَّلَ مُهَاجِرَةٍ تَدْخُلُ الْمَدِينَةَ .

وَفِي الْمَدِينَةِ عَاشَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَوْجُهَا أَجْمَلَ أَيَّامِهِمَا ، وَعَكَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عَلَى تَرْبِيَةِ أَبْنَائِهَا ، بَيْنَمَا رَاحَ زَوْجُهَا يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ إِعْلَاءِ رَايَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

وَخَاضَ الزَّوْجُ مَعَ الرَّسُولِ ﷺ مَعْرَكَةَ بَدْرٍ ، وَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِانْتِصَارِ الْمُسْلِمِينَ الْكَبِيرِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ .

وَفِي غَزْوَةِ (أُحُدٍ) أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْأَعْدَاءِ ، فَجُرِحَ جُرْحًا بَلِيغًا ، فَأَخَذَ الصَّحَابَةُ يُعَالِجُونَهُ ، بَيْنَمَا مَسَحَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَوَاسَاهُ بِقَوْلِهِ :

- لَا تُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ ، فَيَسْتَرْجِعُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) ..

وَأَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ بِرَغْمِ مَا بِهِ مِنْ آلَامٍ يَسْتَغْفِرُ رَبَّهُ وَيَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَصَابَهُ وَيُرَدِّدُ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ ﷺ وَيَقُولُ :

- اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِي هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِي خَيْرًا مِنْهَا .

وَعَادَ الزَّوْجُ وَهُوَ مُثْقَلٌ بِجِرَاحِهِ ، وَمَا إِنْ رَأَتْهُ زَوْجَتُهُ حَتَّى قَالَتْ فِي فَزَعٍ :

- فِدَاكَ نَفْسِي يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا الَّذِي أَصَابَكَ ؟

فَقَالَ الزَّوْجُ :

- أَبْشِرِى يا أُمَّ سَلَمَةَ ، فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا مِن رَسُولِ اللَّه ﷺ أَحَبَّ إِلَىَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ .

فَسَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ فِى لَهْفَةٍ :

- وَمَا هُوَ ؟

فَقَالَ أَبُو سَلَمَةَ :

- سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : لا تُصِيبُ أَحَدًا مُصِيبَةٌ فَيَسْتَرْجِعَ عِنْدَ اللَّه ، ثُمَّ يَقُولَ : اللَّهُمَّ عِنْدَكَ احْتَسَبْتُ مُصِيبَتِى هَذِهِ ، اللَّهُمَّ أَخْلِفْنِى فِيهَا ، إِلاَّ أَعْطَاهُ اللَّهُ .

وَلَمْ يَتَحَمَّلْ أَبُو سَلَمَةَ الأَلَمَ طَوِيلاً ، فَلَزِمَ الْفِرَاشَ ، وَجَاءَهُ الْمُسْلِمُونَ يَزُورُونَهُ وَيَدْعُونَ لَهُ بِالشِّفَاءِ الْعَاجِلِ .

كَانَ أَبُو سَلَمَةَ رَجُلاً مُؤْمِنًا لا يَخَافُ الْمَوْتَ ، لَكِنَّهُ كَانَ خَائِفًا عَلَى مَصِيرِ زَوْجَتِهِ وَأَبْنَائِهِ الأَرْبَعَةِ الصِّغَارِ ، فَمَنْ يَرْعَاهُمْ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَلِذَلِكَ فَقَدْ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ :

- اللَّهُمَّ ارْزُقْ أُمَّ سَلَمَةَ بَعْدِى رَجُلاً خَيْرًا مِنِّى ، لا يُحْزِنُهَا وَلا يُؤْذِيهَا .

وَلَمَّا سَمِعَتْهُ زَوْجَتُهُ قَالَتْ وَهِىَ تَبْكِى فِى تَأَثُّرٍ :

- وَمَنْ هَذَا الَّذِى هُوَ خَيْرٌ مِنْكَ يا أَبَا سَلَمَةَ ؟!

وظَلَّ أَبُو سَلَمَةَ مَرِيضًا عِدَّةَ أَيَّامٍ يَعُودُهُ المسْلِمُونَ ، وذَاتَ صَبَاحٍ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيَعُودَهُ ، وبَقِىَ بِجِوَارِهِ حَتَّى صَعِدَتْ رُوحُهُ إِلَى بَارِئِهَا ، فَأَغْمَضَ الرَّسُولُ ﷺ عَيْنَيْهِ بِيَدَيْهِ ، ثُمَّ دَعَا لَهُ بِالرَّحْمَةِ والمغْفِرَةِ ، وكَبَّرَ عَلَيْهِ ﷺ تِسْعَ تَكْبِيرَاتٍ ، فَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ وقَالُوا :

- يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَسَهَوْتَ أَمْ نَسِيتَ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- لَمْ أَسْهُ ولَمْ أَنْسَ ، ولَوْ كَبَّرْتُ عَلَى أَبِى سَلَمَةَ أَلْفًا كَانَ أَهْلاً لِذَلِكَ .

ووَدَّعَ الرَّسُولُ ﷺ والمسْلِمُونَ أَبَا سَلَمَةَ إِلَى مَثْوَاهُ الأَخِيرِ ، وعُيُونُهُمْ وقُلُوبُهُمْ مَعَ زَوْجَتِهِ وأَبْنَائِهِ الصِّغَارِ ، الَّذِينَ فَقَدُوا أَبَاهُمُ الْحَنُونَ ، وأَصْبَحُوا بِلاَ عَائِلٍ يَعُولُهُمْ . . فَمَاذَا يَحْدُثُ لِهَذِهِ الأُسْرَةِ المؤْمِنَةِ ؟ ومَاذَا يَنْتَظِرُ أُمَّ سَلَمَةَ ؟!

(يتبع)

الكتاب القادم

أم سلمة (٢) صفاتها وأخلاقها

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٥١٣٧

الترقيم الدولى : ٣ - ٥٩١ - ٢٦٦ - ٩٧٧

مسلمات

١٢

أم سلمة

الجزء الثانى

صفاتها وأخلاقها

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سيد
إشراف : ا. حمدى مصطفى

بَعْدَ أَنْ تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الأَسَدِ ، وَوَدَّعَهُ أَصْحَابُهُ إِلَى مَثْوَاهُ الأَخِيرِ ، عَاشَتْ زَوْجَتُهُ مَعَ صِبْيَتِهَا الصِّغَارِ فِي حُزْنٍ شَدِيدٍ ، فَقَدْ فَقَدُوا الأَبَ الْحَنُونَ وَالْعَائِلَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَرْعَى شُئُونَهُمْ وَيُلَبِّي مَطَالِبَهُمْ .

وَاتَّجَهَتْ أَنْظَارُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلَادِهَا ، فَمَا إِنِ انْتَهَتْ مِنْ حِدَادِهَا ، حَتَّى تَسَابَقَ الصَّحَابَةُ إِلَى الزَّوَاجِ مِنْهَا ، لِكَيْ يُعَوِّضُوهَا عَنْ فَقْدِهَا لِزَوْجِهَا ، وَيَقُومُوا بِرِعَايَةِ أَبْنَائِهَا الصِّغَارِ ، وَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَيْهَا لِكَيْ يَخْطُبَهَا لِنَفْسِهِ ، لَكِنَّهَا رَدَّتْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ إِلَى طَلَبِهِ ، كَمَا أَرْسَلَ إِلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُهَا ، فَرَدَّتْهُ كَمَا رَدَّتْ أَبَا بَكْرٍ ، فَقَدْ كَانَتْ مُتَأَثِّرَةً بِوَفَاةِ زَوْجِهَا تَأَثُّرًا كَبِيرًا ، كَمَا كَانَتْ تَعْتَقِدُ أَنَّ مَكَانَةَ زَوْجِهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا أَحَدٌ .

وَمَرَّ بَعْضُ الْوَقْتِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَأَوْلَادِهَا ، ثُمَّ رَأَى الرَّسُولُ ﷺ أَنْ يَضُمَّ هَذِهِ السَّيِّدَةَ إِلَى نِسَائِهِ ، وَيَرْعَى أَبْنَاءَهَا كَمَا يَرْعَى أَبْنَاءَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ يَخْطُبُهَا لَهُ ﷺ .

وَتَلَقَّتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ هَذَا الْخَبَرَ بِدَهْشَةٍ ، حَيْثُ لَمْ

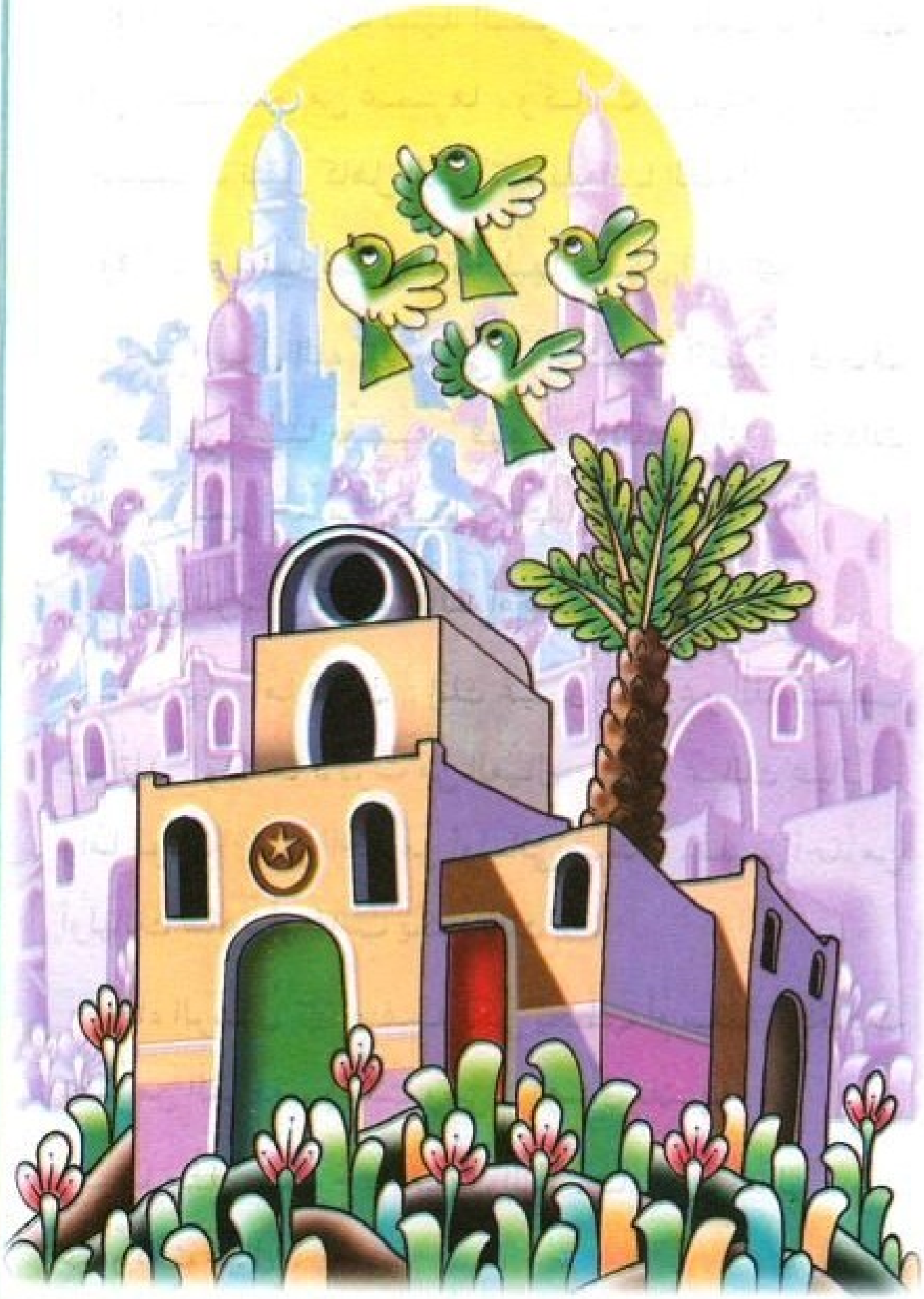

تَتَوَقَّعُ أَنْ تَكُونَ زَوْجَةً لِسَيِّدِ الْبَشَرِ ، كَمَا كَانَتْ قَدْ قَارَبَتْ عَلَى الْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهَا ، وَكَانَتْ شَدِيدَةَ الْغَيْرَةِ ، وَخَشِيَتْ أَنْ تُثْقِلَ كَاهِلَ النَّبِيِّ ﷺ بِأَبْنَائِهَا الصِّغَارِ .

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِمَنْ جَاءَ يَخْطُبُهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

ـ أَخْبِرْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، أَنِّي امْرَأَةٌ شَدِيدَةُ الْغَيْرَةِ ؛ فَأَخَافُ أَنْ يَرَى مِنِّي شَيْئًا يُغْضِبُهُ ، فَيُعَذِّبَنِي اللَّهُ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ ذَاتُ عِيَالٍ ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا .

وَسَمِعَ الرَّسُولُ ﷺ مَا قَالَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ ، فَقَالَ :

ـ قُلْ لَهَا : أَمَّا قَوْلُكِ : إِنَّكِ غَيْرَى فَسَأَدْعُو اللَّهَ فَتَذْهَبَ غَيْرَتُكِ ، وَأَمَّا مَا ذَكَرْتِ مِنَ الْعِيَالِ ، فَإِنَّمَا عِيَالُكِ عِيَالِي ، وَأَمَّا قَوْلُكِ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي شَاهِدًا ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِكِ شَاهِدٌ أَوْ غَائِبٌ يَكْرَهُ ذَلِكَ .

وَجَاءَ الرَّسُولُ ﷺ بِنَفْسِهِ لِكَيْ يَخْطُبَ أُمَّ سَلَمَةَ ، فَكَادَتْ تَطِيرُ مِنَ الْفَرْحَةِ ، وَقَالَتْ وَهِيَ لَا تُصَدِّقُ نَفْسَهَا :

ـ مَا مِثْلِي يَتَزَوَّجُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَنَا لَا يُولَدُ لِي ، وَأَنَا غَيُورٌ ذَاتُ عِيَالٍ .

فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ :

ـ أَنَا أَكْبَرُ مِنْكِ ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ ، وَأَمَّا الْعِيَالُ فَإِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ .

وَعِنْدَئِذٍ قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِابْنِهَا عُمَرَ :

ـ قُمْ فَزَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ .

فَقَامَ عُمَرُ فَزَوَّجَهُ ﷺ ، وَمِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ أَصْبَحَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمًّا لِلْمُسْلِمِينَ .

كَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مَوْصُوفَةً بِالْجَمَالِ الْبَارِعِ ، وَالْعَقْلِ الرَّاجِحِ ، وَالرَّأْيِ الصَّائِبِ ، وَقَدْ وَصَفَتْهَا عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِالْجَمَالِ وَالْعَقْلِ ، وَلاَحَظَا أَنَّ لَهَا مَكَانَةً كَبِيرَةً فِي قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ .

وَأَصْبَحَ الرَّسُولُ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لأُمِّ سَلَمَةَ الزَّوْجَ الْحَنُونَ ، وَبِالنِّسْبَةِ لأَبْنَائِهَا الأَبَ الْحَانِي الَّذِي لاَ يُغْمَضُ لَهُ جَفْنٌ ، حَتَّى يَطْمَئِنَّ عَلَيْهِمْ ، فَمَا إِنْ تَتَغَيَّبُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْهَا فِي لَهْفَةٍ وَيَقُولُ :

ـ أَيْنَ زُنَابُ ؟

كَمَا زَوَّجَ سَلَمَةَ مِنْ بِنْتِ عَمِّهِ «أُمَامَةَ بِنْتِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ » ، وَقَالَ ﷺ لأَصْحَابِهِ :

ـ تَرَوْنَ كَافَأْتُهُ ؟

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى رِعَايَةِ الرَّسُولِ ﷺ لَهَا وَلأَبْنَائِهَا رِعَايَةً تَامَّةً ، أَنَّهُ ﷺ كَانَ جَالِسًا مَعَ أُمِّ سَلَمَةَ وَابْنَتِهَا زَيْنَبَ ، فَجَاءَتْهُ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ وَمَعَهَا الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، فَضَمَّهُمَا ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثُمَّ قَالَ :

ـ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ .

وَلَمْ تَتَمَالَكْ أُمُّ سَلَمَةَ نَفْسَهَا فَبَكَتْ ، فَتَعَجَّبَ الرَّسُولُ ﷺ مِنْ ذَلِكَ وَسَأَلَهَا :

ـ مَا يُبْكِيكِ ؟

فَقَالَتْ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ خَصَصْتَهُمْ بِدُعَائِكَ ، وَتَرَكْتَنِي وَابْنَتِي .

فَقَالَ ﷺ لأُمِّ سَلَمَةَ :

ـ إِنَّكِ وَابْنَتَكِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ .

فَهَلْ هُنَاكَ حَنَانٌ وَرَحْمَةٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ؟ وَهَلْ هُنَاكَ إِنْسَانِيَّةٌ أَكْثَرُ مِنْ إِنْسَانِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟!

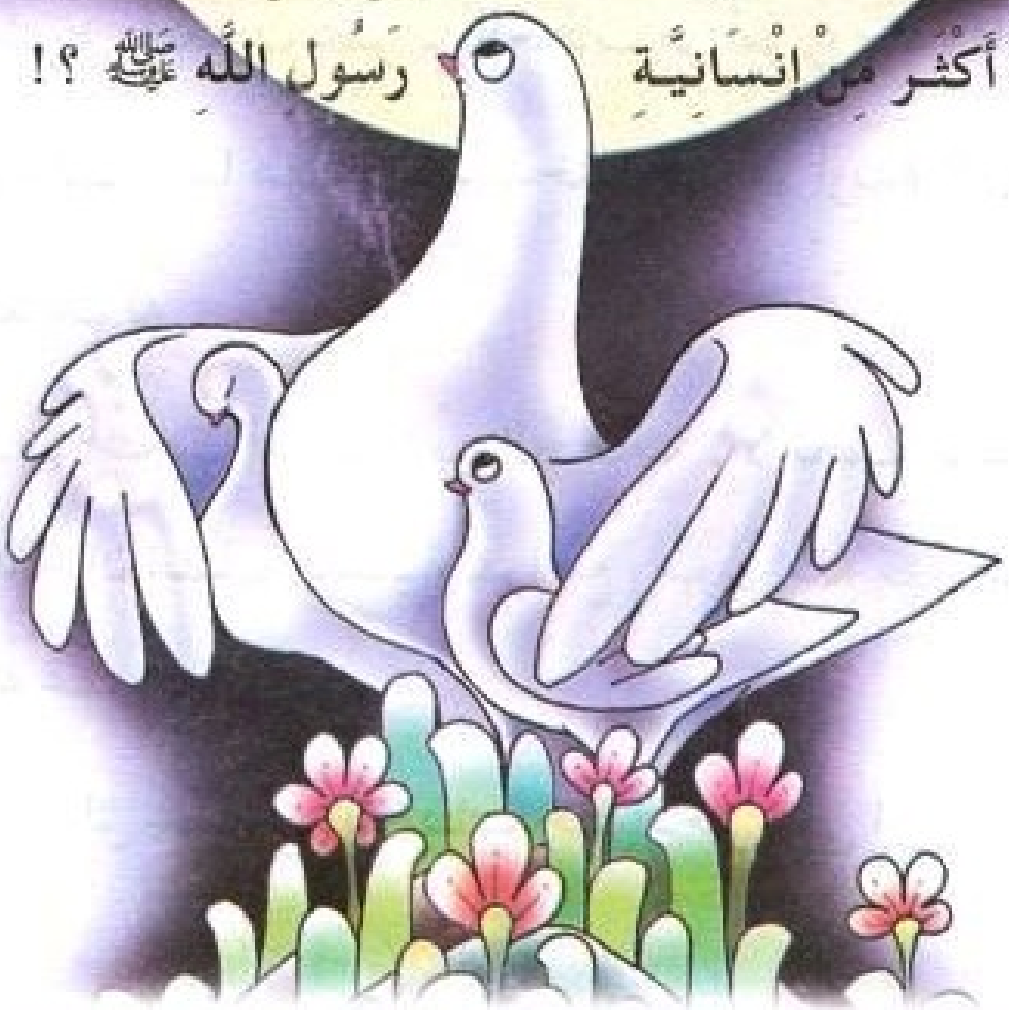

وَكَمَا اتَّصَفَتْ أُمُّ سَلَمَةَ بِالْجَمَالِ ، فَقَدِ اتَّسَمَتْ بِقُوَّةِ الشَّخْصِيَّةِ وَعِزَّةِ النَّفْسِ ، فَقَدْ رَاجَعَتْ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَتَصَدَّتْ لَهُ بِقُوَّةٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي شُئُونِ بَيْتِ الرَّسُولِ ﷺ .

فَبَيْنَمَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه يَقُومُ بِبَعْضِ الأَعْمَالِ إِذْ أَشَارَتْ عَلَيْهِ زَوْجَتُهُ قَائِلَةً :

ـ لَوْ صَنَعْتَ كَذَا وَكَذَا لَكَانَ أَفْضَلَ !

وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يُؤْخَذُ بِرَأْيِهَا وَلاَ تُسْتَشَارُ فِي شَيْءٍ ، فَتَعَجَّبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مِنْ أَمْرِ زَوْجَتِهِ وَقَالَ لَهَا :

ـ مَالَكِ وَلِمَا هَهُنَا ، فِيمَ تَدَخُّلُكِ فِي أَمْرٍ أُرِيدُهُ ؟

فَقَالَتْ لَهُ :

ـ مَا أَعْجَبَ أَمْرَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ، لاَ تُحِبُّ أَنْ يُرَاجِعَكَ أَحَدٌ ، وَإِنَّ ابْنَتَكَ حَفْصَةَ لَتُرَاجِعُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ !

فَانْطَلَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ فَعَاتَبَهَا قَائِلاً :

ـ يَا بُنَيَّةُ ، إِنَّكِ لَتُرَاجِعِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَظَلَّ يَوْمَهُ غَضْبَانَ ؟

فَقَالَتْ حَفْصَةُ :

ـ إِنَّا لَنُرَاجِعُهُ .

فَقَالَ عُمَرُ :

ـ تَعْلَمِينَ أَنِّي أُحَذِّرُكِ عُقُوبَةَ اللَّهِ وَغَضَبَ رَسُولِهِ ﷺ يَا بُنَيَّةُ ، يَا بُنَيَّةُ لا يَغُرَّنَّكِ هَذِهِ الَّتِي أَعْجَبَهَا حُسْنُهَا وَحُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهَا .

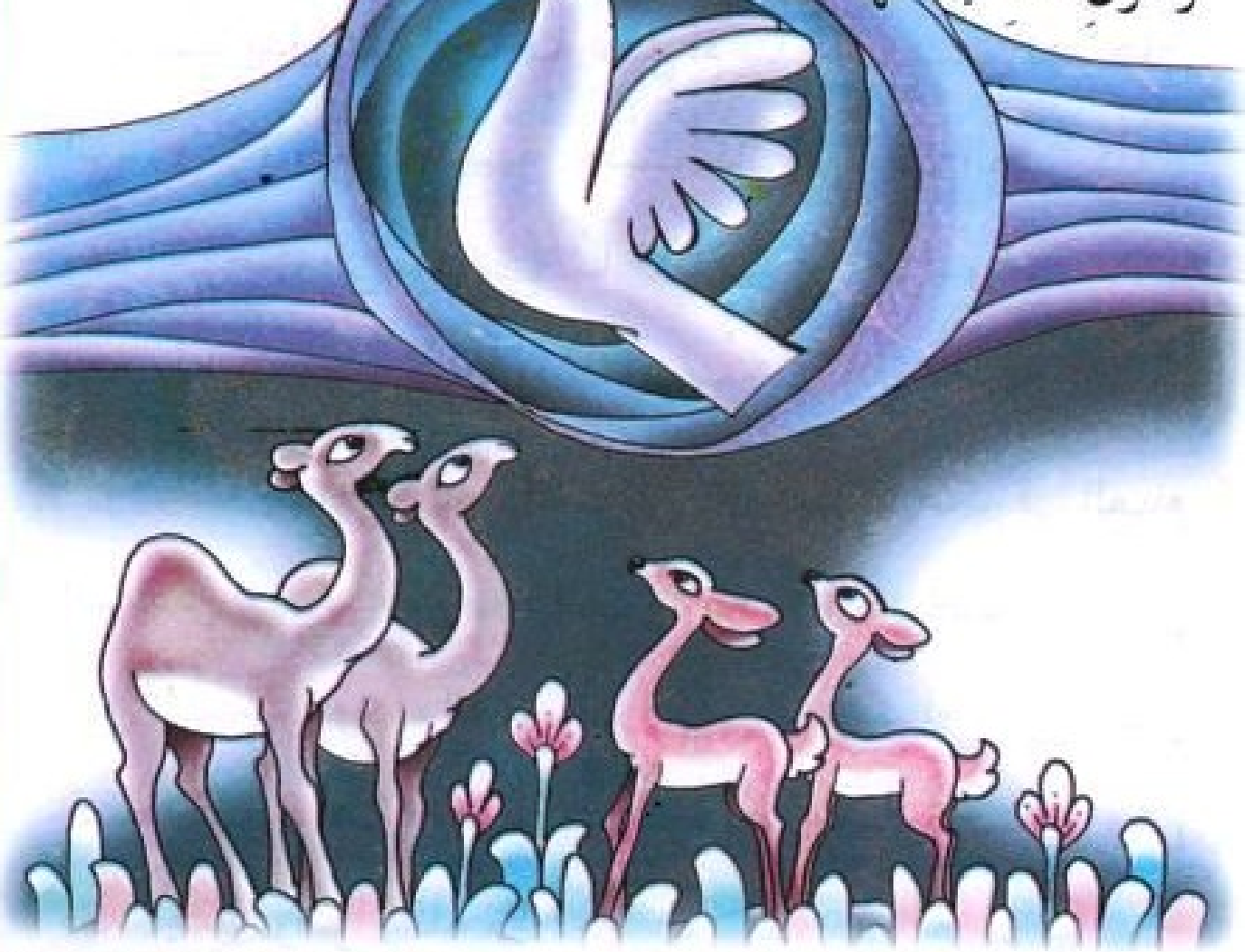

وَدَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ وَرَاحَ يُحَذِّرُهَا مِنْ مُرَاجَعَتِهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :

ـ عَجَبًا لَكَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ ! قَدْ دَخَلْتَ فِي كُلِّ شَيْءٍ ، حَتَّى تَبْتَغِي أَنْ تَدْخُلَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ ؟

وَلَمْ يَتَوَقَّعْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ هَذَا الرَّدَّ الْقَوِيَّ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا مُنْدَهِشًا ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ .

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِ أُمِّ سَلَمَةَ ، مَشُورَتُهَا عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ ، حَيْثُ كَانَ فِي رَأْيِهَا الْخَيْرُ كُلُّهُ ، وَقَدْ أَخْرَجَتِ الرَّسُولَ ﷺ مِمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ حُزْنٍ وَغَمٍّ بِسَبَبِ مَعْصِيَةِ الْمُسْلِمِينَ لِأَمْرِهِ وَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى هَذَا الصُّلْحِ .

وَقِصَّةُ هَذَا الصُّلْحِ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَصَدَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ السَّادِسِ لِلْهِجْرَةِ ، وَمَعَهُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُمِائَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، مِنْ أَجْلِ الْعُمْرَةِ وَأَدَاءِ الْمَنَاسِكِ ، وَفِي الطَّرِيقِ أَخْبَرَهُ بَعْضُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ لَنْ يَتْرُكُوهُ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ ، وَلَكِنْ جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ .

وَأَرْسَلَ الرَّسُولُ ﷺ رِسَالَةَ سَلَامٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ ، يَطْلُبُ مِنْهُمْ فِيهَا أَلَّا يَمْنَعُوهُ مِنْ زِيَارَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَأَنْ يُوَقِّعُوا صُلْحًا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ، فَلَا تُرَاقُ الدِّمَاءُ ، وَلَا يُعْتَدَى عَلَى الْحُرُمَاتِ .

وَأَرْسَلَ أَهْلُ مَكَّةَ مَبْعُوثًا مِنْ عِنْدِهِمْ لِيُوَقِّعَ هَذَا الصُّلْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُمْلِيَ شُرُوطَهُ ، وَجَاءَ الْمَبْعُوثُ وَهُوَ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَوَقَّعَ الصُّلْحَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

كَانَتْ شُرُوطُ الصُّلْحِ جَائِرَةً ، فَقَدْ طَلَبَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

ـ أَنْ يَعُودُوا هَذَا الْعَامَ دُونَ أَنْ يَعْتَمِرُوا ، عَلَى أَنْ يَسْمَحَ لَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ بِالْعُمْرَةِ الْعَامَ الْقَادِمَ .

ـ أَنَّهُ مَنْ آمَنَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، فَعَلَى مُحَمَّدٍ أَنْ يُعِيدَهُ ، أَمَّا مَنِ ارْتَدَّ عَنِ الإِسْلَامِ فَلَا يُعِيدُهُ أَهْلُ مَكَّةَ .

ـ أَنْ تَكُونَ مُدَّةُ الصُّلْحِ عَشْرَ سَنَوَاتٍ لَا قِتَالَ فِيهَا وَلَا خِيَانَةَ وَلَا غَدْرَ ، وَمَنْ شَاءَ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ دَخَلَ فِيهِ .

وَتَعَجَّبَ الصَّحَابَةُ وَقَالُوا فِي دَهْشَةٍ :

ـ سُبْحَانَ اللَّهِ ، كَيْفَ نَرُدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ مَنْ جَاءَنَا مُسْلِمًا . . أَنَكْتُبُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

ـ نَعَمْ ، إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ فَسَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا .

وَلَمْ تُعْجِبْ هَذِهِ الشُّرُوطُ الصَّحَابَةَ ، وَأَحَسُّوا فِيهَا بِالظُّلْمِ وَالْمَهَانَةِ حَتَّى إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ :

ـ أَلَسْتَ عَلَى حَقٍّ وَعَدُوُّنَا عَلَى بَاطِلٍ ؟

فَقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ بلى .

فَقَالَ عُمَرُ :

ـ أَلَيْسَ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاهُمْ فِي النَّارِ ؟

فَقَالَ ﷺ :

ـ بَلَى .

فَعَادَ عُمَرُ يَسْأَلُ وَيَقُولُ :

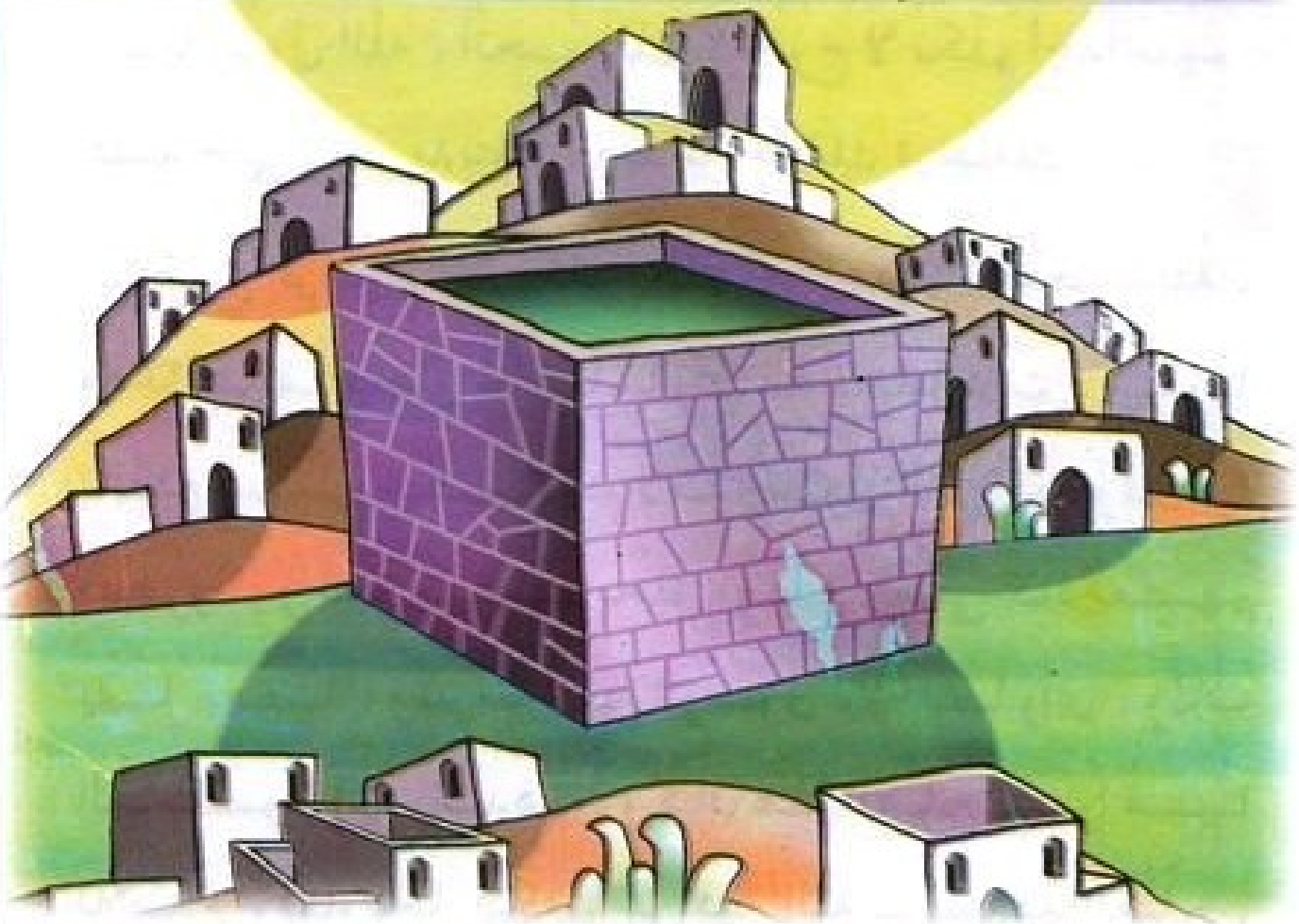

ـ فَفِيمَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فِى دِينِنَا إِذَنْ ؟

فَقَالَ ﷺ :

ـ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ ، وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِى .

ثُمَّ إِنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ لَهُمْ :

ـ قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا .

وَكَرَّرَ الرَّسُولُ ﷺ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ ، فَدَخَلَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى زَوْجَتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ حَزِينًا ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا حَدَثَ فَقَالَتْ لَهُ :

ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُحِبُّ ذَلِكَ ؟ اخْرُجْ لاَ تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بَدَنَتَكَ ، وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ .

فَخَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ ، فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ ، فَنَحَرَ بَدَنَتَهُ ، وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَ لَهُ ، فَلَمَّا رَأَى الصَّحَابَةُ ذَلِكَ ، شَعَرُوا بِالنَّدَمِ بِسَبَبِ عِصْيَانِهِمْ لأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقَامُوا فَنَحَرُوا ، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا ، حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَقَرَّتْ عَيْنُ الرَّسُولِ ﷺ بِمَا رَأَى ، وَثَابَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى رُشْدِهِمْ ، وَكَانَ هَذَا الصُّلْحُ نَصْرًا مُبِينًا لِلإِسْلاَمِ ، فَقَدْ دَخَلَ الْكَثِيرُ فِى دِينِ اللَّهِ بِسَبَبِ هَذَا الصُّلْحِ ،

كَمَا كَانَ هَذَا الصُّلْحُ طَرِيقًا لِفَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَهَكَذَا كَانَ رَأْىُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا حَاسِمًا ، وَقَدْ أَخَذَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى رَجَاحَةِ عَقْلِهَا وَصَوَابِ رَأْيِهَا . وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَصْطَحِبُ مَعَهُ أُمَّ سَلَمَةَ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْغَزَوَاتِ لِكَىْ يَسْتَشِيرَهَا وَيَتَعَرَّفَ رَأْيَهَا ، فَقَدِ اصْطَحَبَهَا مَعَهُ فِى غَزْوَةِ خَيْبَرَ ، وَفِى فَتْحِ مَكَّةَ ، وَفِى حِصَارِهِ لِلطَّائِفِ ، وَفِى غَزْوِهِ لِهَوَازِنَ وَثَقِيفٍ ، ثُمَّ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ .

وَعَاشَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِىِّ ﷺ زَمَنًا طَوِيلاً حَتَّى مَاتَتْ عَامَ سِتِّينَ هِجْرِيَّةً ، وَكَانَتْ آخِرَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ مَوْتًا .

رَحِمَ اللَّهُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةَ أُمَّ سَلَمَةَ ، الَّتِى كَانَتْ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ دَخَلُوا فِى الإِسْلاَمِ ، وَجَاهَدَتْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَتَحَمَّلَتِ الْمَشَقَّةَ وَالْعَنَاءَ ، وَكَانَتْ نِعْمَ الزَّوْجَةَ لِلرَّسُولِ ﷺ ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَسْتَشِيرُهَا فِى كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ ، فَكَانَتْ تُشِيرُ عَلَيْهِ بِالرَّأْىِ الصَّائِبِ .

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم

زينب بنت جحش (١) زواج بأمر السماء

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٥١٣٨

الترقيم الدولى : ٤ ـ ٥٩٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧